مجلة طبنـــة للدراسات العلمية الأكاديميةISSN 2661-7633 / EISSN 2716-8883

السنة: 2023 المجلد: 06 العدد:01 ص.ص: 1029-1050

النّقد اللّساني العربي الحديث للمنجز اللّغوي التّراثي: ماهيته، صوره، قضاياه

Modern Arabic linguistic criticism of the traditional linguistic achievement: what it is, its image, and its issues

رياض عزالدين[1]*،المركز الجامعي بريكة، الجزائر، riyadh.azedine@cu-barika.dz

مخبر الدّراسات اللّغوية النّظرية والتّطبيقية (جامعة محمد بوضياف المسيلة)

عمار لعويجي[2] المركز الجامعي بريكة، الجزائر،ammar.laouidji@cu-barika.dz

تاريخ إرسال المقال: 11-01-2023 تاريخ قبول المقال: 25-05-2023

الملخص:

تشكّل علاقة النّقد اللّساني العربي بإرثه اللّغوي إشكالية من إشكالات كثيرة يعاني منها الدّرس اللّساني العربي الحديث؛ ذلك أنّ موضوع التّراث اللّغوي العربي يعدّ أكثر الموضوعات حضورا في الكتابة النّقدية اللّسانية العربية، لما يفرزه هذا التّراث من قضايا سجالية وجدلية تؤكّد ملازمة التّراث اللّغوي للدرس اللّساني العربي الحديث من جهة، ويفسح المجال لبروز مجموعة من القضايا الكفيلة بخلق فجوة بين فريقين: فريق يمدح التّراث ويدعو إلى الاتصال به، وآخر يقدحه ويدعو إلى القطيعة معه من جهة أخرى.

وعلى هذا تتغيا هذه الدراسة الكشف عن ماهية النّقد اللّساني العربي الحديث وعرض القضايا التي اشتغل بها اللّسانيون العرب في كتاباتهم النّقدية في سياق تفاعل التّراث اللّغوي بالدرس اللّساني الحديث.

الكلمات المفتاحية: النّقد، اللّسانيات، التّراث اللّغوي، إعادة القراءة.

Abstract:

The relationship of Arabic linguistic criticism with its linguistic heritage constitutes one of the many problems that the modern Arabic linguistic study suffers from. This is because the topic of the Arabic linguistic heritage is the most present topic in the Arabic linguistic critical writing, because of the controversial and dialectical issues that this heritage produces that confirm the linguistic heritage's concomitant nature with the modern Arabic linguistic study on the one hand, and paves the way for the emergence of a group of issues capable of creating a gap between two groups: a team that praises the heritage And he calls for contact with him, and another criticizes him and calls for estrangement with him on the other hand.

Accordingly, this study aims to reveal the nature of modern Arabic linguistic criticism and to present the issues that Arab linguists engaged in in their critical

* رياض عزالدين.

writings in the context of the interaction of the linguistic heritage with the modern linguistic lesson.

Key words : criticism, linguistics, linguistic heritage, re-reading.

مقدمة:

رغم التّطورات المتسارعة والمتلاحقة التي عرفتها اللّسانيات من حيث نظريات ومناهج دراسة اللّغة، إلا أن القارئ للكتابات النّقدية اللّسانية العربية يلفي حضورا مستمرا للتراث فيها؛ لأن هذا التّراث بما يزخر به من دراسات علمية قيّمة عن اللّغة لا يزال يسجّل حضوره باستمرار في الفكر اللّساني العربي الحديث. كما كان إدراك الغرب لأهميّة التّراثات اللّغوية الإنسانية في تشكيل المعرفة اللّسانية الحديثة سببا قويا دفع اللّسانيين العرب إلى تناول التّراث اللّغوي العربي بالدّراسة والنّقد، وذلك بإجراء قراءات عصرية لهذا التّراث، تحاوره حينا وتتجادل معه حينا أخرى، وبهذه الطريقة تشكّلت علاقة بين التّراث اللّغوي العربي بما يحمله من زاد علمي في الصوت، الصّرف، التركيب والدلالة، والنّقد اللّساني العربي الحديث المتسلّح أهله بمرجعيات لسانية وابستمولوجية مختلفة، وهي علاقة تتسم في أغلبها بالالتباس والتوتّر.

وتبرز مظاهر توتّر العلاقة بين النّقد اللّساني العربي الحديث والمنجز اللّغوي التّراثي من خلال وجود نظرتين للتّراث: إحداهما مبنية على أسس معرفية وابستيمولوجية، وأخرى تعتمد على ميول وتوجهات النّاقد، مما يفسح المجال لإصدار أحكام وآراء متباينة حول التّراث اللّغوي العربي وأهمّيته، وهذا بدوره يخلق مجموعة من القضايا الشّائكة التي يكثر حولها الجدل؛ فتتنوّع حولها الآراء وتكثر فيها الأقوال بين بالمشتغلين بالتّراث تقييما وتقويما.

وفي هذا الصّدد فإنّ موضوع دراستنا الموسومة ب: **النّقد اللّساني العربي الحديث للمنجز اللّغوي التّراثي: ماهيته، صوره، قضاياه،** يتمحور حول الاهتمام المتزايد بالتّراث اللّغوي العربي في الفكر النّقدي اللّساني العربي الحديث، وما ينتج عن ذلك من دعوات اتصال وانفصال مع التّراث اللّغوي العربي.

وتسعى الدراسة إلى إبراز ماهية النّقد اللّساني العربي الحديث، ثم عرض صوره، وبيان أهميته، كما تحاول –قدر المستطاع– عرض بعض القضايا التي سجلت حضورها في الكتابة النّقدية اللّسانية العربية، لعلّ أبرزها **علاقة علمي النحو العربي واللّسانيات الحديثة؛** فهي علاقة يشوبها كثير من الغموض والالتباس في الفكر النّقدي العربي الحديث، وهي قضية تؤدي إلى إشكالات كثيرة، لعل أخطرها وأعمقها إشكالية التّراث والحداثة، أو الأصالة والمعاصرة التي تبرز في الكتابة النّقدية العربية بانقسام اللّسانيين إلى تراثيين وحداثيين وما ينتج عن ذلك من صراع حاد بين الطّرفين، ويغذي هذا الصّراع قضية ثانية أوجدت لنفسها مكانا في النّقد اللّساني العربي للتراث، تتمحور حول أساليب **قراءة التّراث؛** ذلك أنّ الساحة

اللّسانية العربية الحديثة عرفت مشاريع عدّة لقراءة التّراث، ورغم أهميتها إلا أنها ما انفكت تطرح أسئلة كثيرة عن جدواها وكيفياتها.

وسنعرض في هذه الدراسة أهم التّصورات والآراء النّقدية التي وظّفها اللّسانيون العرب في سياق دراسة التّراث اللّغوي في علاقته باللّسانيات، وذلك بطرح الإشكالية التالية: كيف تعامل النّقد اللّساني العربي الحديث مع المنجز اللّغوي التّراثي؟

ويتفرع عن هذه الاشكالية أسئلة جزئية من قبيل:

- ما هو النّقد اللّساني العربي الحديث؟
- ماهي صوره؟
- ما أهمية نقد المنجز اللّغوي العربي؟
- ماهي قضايا النّقد اللّساني العربي الحديث في تناوله للمنجز التّراثي؟
- ماهي الانتقادات والآراء الموظفة في تناول هذه القضايا؟

وللإجابة عن هذه الأسئلة ستتّبع الدّراسة المنهج الوصفي في عرض ما يتعلّق بالنّقد اللّساني العربي الحديث، وسيتعزّز ذلك بآليتي التحليل والنّقد لما سيدرج في الدّراسة من آراء وتصورات نقدية للمنجز اللّغوي العربي، كما اقتضت طبيعة الدراسة رسمها وفق هيكل منهجي خاص كما سيأتي بيانه.

المبحث الأول: ماهية النّقد اللّساني العربي الحديث للمنجز اللّغوي التّراثي:

من المعلوم أن نجاح دي سوسير في تقديم المنهج الوصفي بديلا عن المناهج اللّغوية التقليدية قد تم بعد هضم اللّغويين الغربيين لتراثهم النّقدي وتسجيل جملة من المآخذ على أنحائهم التقليدية، فتأسست بذلك اللّسانيات الحديثة على أكتاف المناهج التقليدية في دراسة اللّغة، وسعيا للحاق بهذا المنهج الحديث غلب على اللّسانيين العرب –خاصة الوصفيين الأوائل– الامتثال للنقود الغربية الموجهة لتراثهم باضفاء نقائص الأنحاء الغربية القديمة على النحو العربي سواء اتصف بها أم لم يتصف، وذلك لوضع الخطوة الأولى لمسايرة الحداثة والانخراط فيها، لكن هذه الحداثة "هي حداثة فوضوية، لأنها نشأت من فراغ، ولم تأخذ بالحسبان ما فعله العرب القدماء، وما فعلته التّراثات العالمية الأخرى."[1]

وبهذه الصّورة ظهرت كتابات عديدة في النّقد اللّساني العربي الحديث للتراث اللّغوي العربي، فما هو هذا النّقد؟

المطلب الأول: مفهوم النّقد اللّساني:

يعرّف النّقد اللّساني بعدّة تعريفات نجدها في الكتابات اللّسانية العربية الحديثة أهمّها:

أولا: النّقد اللّساني عند بوبكر زكموط: يعرّف النّقد اللّساني على أنه "أداة تقويمية وتقييمية منطلقها محدّدات نظرية ومنهجية في إطار النظرية اللّسانية العامة، وهدفها فحص المعرفة اللّسانية الخاصّة بنموذج لساني ما، أو نماذج عدّة، أوالتطبيقات المقترنة بهذه النماذج، من خلال النظر إلى أسسها ومرجعياتها، والقيمة الموضوعية لنتائجها"[2]

ثانيا: النّقد اللّساني عند مبروك بركات: يقدم الباحث مبروك بركات التعريف التالي للنقد اللّساني، يقول:[3] النّقد اللّساني هو أداة نقدية تلازم المنجز من البحث اللّساني ونظرياته – ملازمة النّقد الأدبي للنتاج الأدبي ونظرياته التحليلية – وتهدف إلى الكشف عن مظاهر الجدية العلمية، والهفوات العلمية والمنهجية فيه، وتستند هذه الأداة إلى عدة علوم ومرتكزات تسهم في موضوعية هذا النّقد وجديته، ويقوم هذا النّقد على ثلاثة عناصر أساسية، وهي:

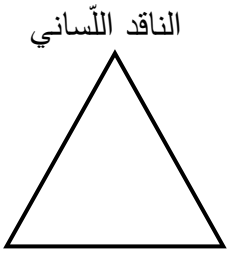

ومن هذه التعريفات، فإن النّقد اللّساني دراسة منهجية منظّمة للمنجز اللّساني ونظرياته، يخضع لنماذج ومناهج علوم لسانية وغير لسانية كالابستيمولوجيا وفلسفة العلم، الرياضيات ... يقوم به ناقد يشترط فيه امتلاك مجموعة من الصفات أبرزها امتلاك المعرفة اللازمة باللّسانيات (مناهجها ونظرياتها، قديمها وجديدها)، وكذلك الاطلاع على مستجدات البحث العلمي والعلوم الأخرى في مقدمتها الابستيمولوجيا، ويكون الغرض من النّقد اللّساني تقييم حصيلة الجهود اللّسانية برصد منطلقاتها وأسسها، ومناهجها واتجاهاتها، ورصد مواطن جديتها وجودتها، وهفواتها المنهجية والنمذجية، ثم تقويم نقاط الضعف باقتراح حلول لتجاوزها وتفاديها.

المطلب الثاني: مفهوم النّقد اللّساني العربي الحديث للمنجز اللّغوي التّراثي:

قدمنا فيما سبق تعريفا للنقد اللّساني بصفة عامة، أما النّقد اللّساني العربي الحديث فإن إضافة لفظة (عربي) تحيل إلى دلالتين؛

- **أولاهما** قومية الناقد؛ أي أن النّاقد يجب أن يحمل جنسية إحدى الدول العربية،
- **وثانيهما** طبيعة العمل قيد النّقد؛ أي أن العمل الخاضع للنّقد يجب أن يكون مقتصرا على المنجز اللّساني العربي.

كما تضاف لفظة (الحديث) للدلالة الزمنية للعملية النّقدية؛ أي أن العمل النّقدي يتصف بالحداثة في طرق وآليات النّقد.

بينما يعرّف التّراث اللّغوي العربي على أنه "كل عمل عربي وضعه العرب القدماء من أجل تفسير النّص القرآني. وهذا يعني أننا إذا أردنا إعادة تركيب التّراث اللّغوي العربي فإنه ينبغي أن نبحث في المصادر التالية:

-كتب النحو والشروح التي تناولته (نحويات أو علم التراكيب).

-كتب التجويد وفق قراءة القرآن الكريم (صوتيات أو علم الصوت).

-كتب البلاغة والفلسفة والمنطق (دلاليات أو علم المعنى).

-كتب التفاسير القرآنية والنبوية.

-دواوين العرب الشعرية والنثرية والشروح التي تناولتها.

-كتب الموسوعات المعرفية المختلفة التي كتبها عظماء الكتّاب العرب، أمثال الجاحظ وابن عبد ربه وابن حزم الأندلسي وغيرهم.

-كتب المعاجم واللّغة كما هي الحال عند ابن منظور وابن فارس والأصمعي والقالي وغيرهم.

-كتب التاريخ كما هي الحال عند الطبري وياقوت الحموي وغيرهما.

وبكلمة أخرى؛ إن ما نعنيه بالتّراث اللّغوي العربي هو كل هذا الركام المعرفي المتناثر في تاريخ الفكر العربي والذي وجد من أجل خدمة النص القرآني"[4].

ومن كل ماسبق، فإن النّقد اللّساني العربي الحديث للمنجز اللّغوي التّراثي هو: كل دراسة منهجية صادرة عن لسانيين عرب ضمن كتابات لسانية عربية حديثة، تتّخذ من التّراث اللّغوي في شموليته وجزئياته موضوعا لها، وتستند على أدوات ومناهج معرفية ولسانية مختلفة، كمخرجات الابستيمولوجيا، ومبادئ النظريات اللّسانية الحديثة ومناهجها، قصد تقييم الجهود اللّغوية العربية، والنفاذ إلى مكنونها، برصد أسسها واتجاهاتها ومناهجها... وذلك بمفاعلتها مع النّظريات اللّسانية الحديثة، ثم الحكم عليها بالاستحسان، ومن ثمة الدعوة إلى الافادة منها، أو الزراية منها، ومن ثمة الدعوة إلى تقويمها وإصلاحها، أو الدعوة إلى التخلي عن مناهجها وتبني غيرها.

المبحث الثاني: صور النّقد اللّساني العربي الحديث للتراث اللّغوي وأهميته:

عرفت الكتابة اللّسانية النّقدية العربية صحوة مميّزة بداية من ثمانينيات القرن الماضي، ويلاحظ المتتبّع لهذه الكتابات أن قضايا التّراث اللّغوي العربي تشكل أبرز الموضوعات التي استأثرت اللّسانيين العرب؛ ذلك أن اللّسانيون العرب انشغلوا بدراسة المنجز اللّغوي العربي في إطار ما استحدث لديهم من مناهج وآليات نقدية، يستندون عليها في استنطاق نصوص التّراث والنفاذ إلى مكنونها، وذلك بادراكهم أن النّقد آلية فعالة لتقييم التّراث وتقويمه، وبذلك تنوعت صور نقدهم للتراث واختلفت أدواتهم من ناقد إلى آخر.

المطلب الأول: صور النّقد اللّساني العربي للتّراث:

إن القارئ للكتابات النّقدية اللّسانية العربية –على كثرتها وتنوعا– يلاحظ تباين الآراء فيها حول التّراث اللّغوي العربي، وذلك لتباين المساطر والآليات التّقويمية الموظفة من لدن اللّسانيين؛ فمن اللّسانيين من يستند في تقويمه على آليات وخطوات منهجية دقيقة، فيكون بذلك نقده مؤسسا، وأحكامه سليمة، ومن اللّسانيين من لا يؤسس نقده على أية مبادئ، ويعتمد في ذلك على آرائه وتصوراته الشّخصية، فيكون حكمه تابعا لتوجّهه ومرجعيته، ومن هنا يبرز النّقد اللّساني العربي الحديث للمنجز اللّغوي التّراثي في صورتين: نقد مؤسّس، ونقد غير مؤسّس.

أولا: النّقد المؤسس للتّراث اللّغوي العربي:

لا يرتبط النّقد المؤسس بطبيعة الأحكام التي يصدرها النّاقد؛ بمعنى أن النّقد المؤسس للتراث لا يجب أن يقتصر على تلك الدّراسات التي تستحسن التّراث وتمدحه، وذلك لأن الافراط في الاستحسان والمدح ضد التأسيس، وبالتالي فإن النّقد اللّساني العربي المؤسّس للتراث "هو ذلك النّقد الذي يقوم على مقوّمات نقديّة ورؤى منهجية تضمن للناقد اللّساني رؤية واضحة وترابطا منهجيا بين المقدمات والنتائج، وصياغة الأسئلة والإشكالات قبل أن يتجه للإجابة عنها، ويتسم هذا النّقد بالتماسك والانسجام في التحليل مما يستجيب لقيد النّسقية[5]، وللنّقد اللّساني العربي المؤسّس مظاهر عديدة نلمس أغلبها في كتابات الدّكتور عبد الرحمان الحاج صالح، ومن بين هذه المظاهر:

1– إعتدال الموقف من اللّسانيات والتّراث اللّغوي العربي: إنّ إنبناء النّقد المؤسس على مبادئ منهجية واضحة تجعل اللّسانيين الممارسين لهذا النمط من النّقد يقفون موقفا وسطا من الصراع القائم بين أنصار التّراث اللّغوي العربي وأنصار اللّسانيات الحديثة، لإدراكهم بوجود علاقة تفاعلية بين العلمين، فموقف الدكتور عبد الرحمان الحاج صالح –مثلا– يتسم بالوسطية والاعتدال في التناول فلا ينحاز إلى

التّراث اللّغوي العربي أو الفكر اللّساني الغربي، وسطية يعبّر عنها بقوله عن نزعة مدرسته الخليلية: "وأما مكانة هذه النزعة من النزعات الأخرى في العالم العربي فهي تتوسط، في اعتقادنا، بين اتجاهين: اتجاه يتجاهل تماما أو إلى حد بعيد اللّسانيات الحديثة ويعتمد أساسا على المفاهيم اللّغوية التي تبلورت كما قلنا عند المتأخرين ويخلط أصحابه بين المفاهيم العربية الأصيلة ومفاهيم هؤلاء المتأخرين، واتجاه آخر يتجاهل تماما أو إلى حد ما التّراث العربي أو يجعل، مثل الاتجاه الأول، كل التّراث واحدا، وبعض أصحابه على الرغم من معرفتهم لهذا التّراث فإنهم مقتنعون اقتناعا تاما أنه قد تجاوزه الزمان أو هو وجهة نظر لا يمكن أن تساوي وجهات نظر اللّسانيات الغربية."[6]

2- استخدام الوسائل الضرورية والمناسبة لقراءة التّراث اللّغوي: يحدّد الدكتور عبد الرحمان الحاج صالح هذه الوسائل في قوله: "ويحتاج الباحث، في نظرنا، لفهم أغراض النّحاة الأولين –المبدعين حقا لهذه المفاهيم السّابقة لأوانها– إلى أن يكون له علم بما جاءت به اللّسانيات الحديثة بجميع مذاهبها ولا يقتصر على نظرية واحدة، وأن يكون له علم بكل ما وجّهه اللّسانيون الغربيون أنفسهم من انتقادات لمختلف هذه النظريات، وأن يتجرد في الوقت نفسه من كل فكرة سابقة إزاء التّراث العلمي العربي، وإزاء كل قديم عامة ولا يسقط على هذا التّراث مفاهيم اللّسانيات، إنما الذي يجب أن يقوم به هو أن يتسلح بمنهجية البحث العلمي الحديثة ومفاهيم الإبستيمولوجية الحديثة، فإذا حاول أن يقوّم مفهوما قديما فبهذه المناهج العلمية الحديثة التي بنيت على التّصفح لكل السياقات التي وردت فيها الكلمة التي يجهل غرض مستعملها في نص معين والاعتماد على ذلك وعدم الاكتفاء بما جاء عند الشراح"[7]، يلخص هذا القول الوسائل الضرورية لنقد التّراث اللّغوي العربي وهي: الوعي بالنظريات اللّسانية، الوعي بالابستيمولوجيا، التسلح بمنهجيات البحث العلمي، الاتصاف بأخلاق الباحث العلمي النزيه.

3- نظرة موضوعية للتراث اللّغوي العربي ولغوييه: يحدد الحاج صالح نظرته الموضوعية للّغويين العرب الذين يسعى إلى الاستفادة من عبقريتهم في دراسة اللغة العربية، يقول: "فنظرتنا إلى هؤلاء العلماء القدامى هي نظرة المطّلع الذي لا يريد أن يفلت منه أي اتجاه وأي نظرة وأي نوع من التّحليل، بل ولا يحكم على أي منها إلا بعد النظر الممعن والتمحيص المتواصل"[8] وتكون النّظرة الموضوعية باستحسان ماهو حسن في التّراث والإشادة به، والتنبيه إلى النقائص وذمّها، ونجد الموقفين عند الدكتور عبد الرحمان الحاج صالح:

أ- موقف الإشادة بالتّراث اللّغوي ولغوييه: فكثيرا ما يشيد الحاج صالح بتلك الأفكار والتّصورات القيمة عن اللّغة في التّراث، وبعبقرية اللّغويين العرب ومنهجيتهم، يقول مثلا: "والذي لاحظناه عند النحاة

القدامى ليس فقط هذه الدقة في التحليل وعمقه –بالنسبة للمتأخرين– وفوق كل شيء ما اختصوا به دونهم بالعقل الخلاق بل أيضا ما أظهروه من القدرة على وصف اللّغة بتصور أصيل لم يسبقوا إليه أولا ولم نجد ما يقابله في اللّسانيات الحديثة في الغالب"[9]

ب–موقف التنبيه على هفوات اللّغويين العرب: إن الدراسات المتفحّصة والعميقة التي قام بها الدكتور عبد الرحمان الحاج صالح على التّراث اللّغوي العربي جعلته يتفطّن إلى وجود مواطن خلل في التأليف اللّغوي العربي عموما والنحوي خصوصا في بعض مراحله، وهذا جعله يحدد فترتين للنحو العربي: فترة النحو العلمي، وفترة النحو التعليمي، وهو يشيد بأصالة الأفكار في المرحلة الأولى وينبه إلى مظاهر الخلط في الثانية، يقول: "وقد انتبهت إلى هذا وأنا طالب علم ولاسيما تلك الفوارق القائمة بين النحاة الأولين وبين المتأخرين منهم وهي عميقة على الرغم من اتحاد المصطلحات في الغالب، فالمنحى ووجهة النظر ومناهج التحليل: كل هذا تغيّر تغيّرا عميقا. فالنظرة صارت تعليمية غالبا. وأما ما أتوا به من تفاسير فكانت إما منقولة من القدماء ومشوهة غالبا وإما جدلية وسكولاستيكية أو غير دقيقة"[10]، وسجّل الدكتور عبد الرحمان الحاج صالح مجموعة من النقائص والمآخذ في التأليف اللّغوي العربي المتأخر رصد بعضها في دراسته (توهمات النحاة العرب بعد عصر الخليل وسيبويه)[11]

4–نظرة موضوعية للّسانيات واللّسانيين: إن طبيعة النّقد المؤسس تفرض على اللّسانيين العرب النّظر إلى اللّسانيات نظرة موضوعية، برصد ايجابيات المناهج اللّسانية الحديثة في دراسة العربية وسلبياتها، وعدم انكار مابذله الغرب في ميدان اللّسانيات، والإيمان –كذلك– بمشروعية تعدد التوجهات المعرفية لدى اللّسانيين العرب المحدثين.

يشيد الدكتور عبد الرحمان الحاج صالح بما قدمه أعلام اللّسانيات الغربية من دراسات قيمة عن اللّغة وخاصة ما بذله دي سوسير وتشومسكي من جهود، فيقول عن هذا الأخير: "أما فيما يخص نظرية تشومسكي فلا بد أن نعترف لهذا الرجل العبقري بالفضل الكبير على اللّسانيات"[12]، كما تتجلى موضوعية الحاج صالح في الإشادة ببعض الجهود اللّسانية العربية التي اتّجهت صوب اللّسانيات الغربية بكل مشاربها، يقول في ذلك: "فقد برز فيه [الاتجاه المتجاهل للتراث] أيضا باحثون جد ممتازين، ومنهم من برع براعة في فهم المدارس الحديثة في اللّسانيات وربما استطاع البعض منهم أن يتجاوزوا مرحلة الاقتباس السلبي ولم يقع كلهم في حضيض التقليد بل اجتهدوا، وفضلهم كبير في تعريف اللّسانيات لجمهور المثقفين، أما نزعاتهم ومشاربهم فهي في الغالب تابعة للمنابع العلمية التي استقوا منها معلوماتهم ومشايخ اللّسانيات الذين تتلمذوا عليهم في خارج العالم العربي"[13]، فتعدد الاتجاهات أمر محمود في نظر

الحاج صالح، يقول: "ونعتقد أن من حق الباحث أن ينتمي إلى أي مدرسة شاء مما يراه صوابا، ولكن ليس من حق الباحث أن يتجاهل المدارس الأخرى وخاصة مدرسة المبدعين من علمائنا القدامى"[14]، وفي المقابل ينبذ التعصب لاتجاه معين[15]، وكذلك تلقي الأفكار الغربية دونما تمحيص وفحص علمي لها[16]

ثانيا: النّقد غير المؤسس للتراث اللّغوي العربي: إن بعض الكتابات النقدية العربية لا يستند أصحابها فيها على معايير ومبادئ واضحة تضفي على أعمالهم مشروعية إصدار أحكام صادقة على التراث اللغوي العربي، فتكون هذه الكتابات في إطار النقد غير المؤسّس، وهو" ذلك النّقد الذي يفتقر لمقومات نقدية ورؤية منهجية تضبط الناقد اللّساني وتوجهه في عمله، ومن سماته إلقاء الأحكام القيمية، وعدم التناسق والانسجام في التّحليل، وله في الثقافة اللّسانية العربية عدة مظاهر، من بينها التلاسن والتجريح، استخدام المدح والتنويه المفرطين، ازدواجية الخطاب النّقدي[17].

إن اللّسانيين العرب الممارسين لهذا النوع من النّقد –إذن– لا يستندون على معايير علمية أو منهجية تُدعّم أحكامهم وتُقوّيها، وإنما يستندون على آراء وأفكار شخصية –عاطفية غالبا– مما يجعل نقودهم ضعيفة، ومن مظاهر النّقد غير المؤسس للتّراث اللّغوي العربي:

1– التّعصب في التّوجه: إن انتماء اللّسانيين العرب إلى مختلف النظريات اللّسانية أمر ايجابي في الدرس اللّساني العربي، ف"من حق الباحث أن يكون معجبا بنظرية دون غيرها، لكن أن يتعصب لها كأنها من بنات أفكاره ليس من شيم طالب الحق حيث كان، خاصة إذا بلغ التّعصب الفكري درجة التمذهب الاختياري المفضي إلى الإنكار"[18]، فمن اللّسانيين العرب من يتعصب للتراث اللّغوي العربي ويدافع عنه بكل الأساليب –وهي أساليب غير علمية ولا منهجية في كثير من الأحيان– ومنهم من يدافع عن النظريات الغربية ويرى فيها كل امتياز، فالفاسي الفهري –مثلا– المتأثر بنظرية تشومسكي "لا يتبنّى أكثر تحليلات وآراء تشومسكي اللّغوية وحسب، بل إنّه يريد أن يعمّم أسلوب البحث اللّساني الشومسكي المسمى بالأسلوب الجليلي: Galilean style على النظرية اللّسانية برمتها"[19]، ويقول مدافعا عن اللّسانيات الغربية بصفة عامة : "فالنماذج الغربية أثبتت كفايتها الوصفية، وليس هناك ما يمكن أن يشكّك فيها بهذه السطحية، ولا أحد يستطيع بشيء من الجدّية، (اللّهم إلّا إذا كان الأمر يتعلق بشعوذة) أن يدعي أننا نحتاج إلى نموذج آخر يبنى بالاعتماد على العربية لوصفها"[20].

إن التعصب للتراث أو لإحدى النّظريات اللّسانية نقد غير مؤسس؛ لأنّ النّقد المؤسّس يبنى على مبدأ الاستفادة من كل الجهود اللّغوية دون تفضيل أحدها على الآخر، وهذا أيضا ينكره الفاسي الفهري حينما ينبذ الدراسات اللّسانية العربية التي تدعو إلى التوفيق، يقول: "...إلا أن إمكان اتصال النماذج وتداخلها

يقترن في نفس الوقت بضرورة الابتعاد عن النماذج المنغولة –المبغولة(hybrid models) التي تأخذ من كل نموذج بطرف؛ فهي وظيفية وصورية ومركبية وعلاقية ودلالية وذريعية وجديدة وتراثية"[21]

2- الإنكار المتبادل: يعاني الدّرس اللّساني العربي الحديث من مشكلة عميقة تتمثّل في صراع اللّسانيين العرب المتمسكين بالتّراث اللّغوي العربي القديم، الذين يرون أنّ أي عمل لساني جديد لابدّ وأن يستند ويرتكز على آراء ومقولات السّلف اللّغوي العربي، واللّسانيين المعاصرين المنشدّين إلى اللّسانيات الغربيّة الحديثة التي يرون فيها النّماذج الكافية فلا حاجة للعودة إلى التّراث والإستناد إليه. ومن هنا انتفى التّواصل بين الطّرفين، "وقد قام [الانتفاء] في الأصل على الانكار المتبادل لجهود الطّرفين، إذ كلاهما متمسك بما لديه وضائق بما لدى الآخر، فانتفى التواصل بين اللّسانيين الحداثيين والتّراثيين، وتعذر عليهم التعاون على الخروج من دائرة التقليد واللحاق بركب المجدّدين في صناعة النّظريات اللّسانية ووضع النّماذج النّحوية"[22].

ويؤدي انكار الطّرفين لبعضهما البعض إلى تبادل الاتّهامات في ملاسنات حادة تؤدّي إلى التّجريح، ف"لو أخذنا بأقوال كل طرف لوجدنا أنّ أنصار الأصالة يتهمون كلّ جديد بأنّه دسيسة أجنبيّة وأفكار مستوردة وبدع مسقطة من الخارج، بل يشيعون أنّ كلّ جديد في طراز الثّقافة إنّما تستهدف شيئا واحدا هو القضاء على ثقافتنا وأصالتنا... وبالمقابل لا يكتفي أنصار المعاصرة بدفع التّقليديين بالتّحجّر الفكري والانقطاع عن روح العصر وعبادة الماضي وغير ذلك من الأوصاف، ولكنّهم أيضا يشيرون بإصبع الإتّهام إلى منابع هذا التّفكير ويربطون بين النّفوذ الإستعماري وبين التّمسّك المتحجّر بالقديم بحيث تصبح إذكاء روح الأصالة عمليّة إلهاء مدبّرة من قبل عملاء الثّقافة المعادية وبصرف أنظار النّاس في الثّقافة العصريّة التي توظّف لخدمة المجتمع..."[23].

3- التّقليل من قيمة التّراث والدعوة إلى الإنسلاخ عنه: إن رغبة البعض الانخراط في النّظريات اللّسانية الغربية وصل بهم إلى درجة إعلان القطيعة مع التّراث وإشهار الإنسلاخ عنه، يقول الفهري: "اللّساني لا يقول كلاما معادا أو مكرورا حتى ولو حسب أن كل القول في اللّغة قد توقف، وكل شيء موجود عند السلف ممن واراهم التراب. العلم في المقابر، واللّغة أيضا لا توجد إلا هناك، وغيرها فسد، فلم تبق حاجة إلا إلى الشراح وأصحاب الحواشي، نحن نجهل والموتى يعلمون! إنه لعالم مظلم! ولحسن الظن أن العوالم تتعدد. إننا لا ننخرط ضمن ذلك العالم"[24] وحتى يستقيم الانسلاخ من التّراث، تُقدّم من لدن هؤلاء الحجج التالية:

أ- التّراث عائق للنّهضة: يقول الفهري: "...كذلك يمكن أن ننظر إلى التّراث كعائق للنّهضة. وهذا شيء ليس من باب التّمني ولا من باب عدم التّمني، ولكنّه شيء موجود وفعلي، وهو أنّ التّراث عائق في كثير من الأحيان لهاته النهضة في المجال اللّغوي والمجال اللّساني، وأنا أتحدث عن تجربة. كانت الدعوة إلى التّراث في كثير من الأحيان وما زالت عائقا للتّطوّر وللتّصوّر ولحل مشاكل اللّغة العربية(...) إن التّراث في كثير من الأحيان يجعلنا نتأخر عن ظرفنا ونبقى دائما في زمان التّراث لا زماننا الحالي والمستقبلي"[25]

ب-الطّعن في معطيات التّراث اللّغوي العربي ومناهجه: يقول الفهري: "فالمعطيات التي نجدها عند القدماء معطيات ناقصة(...) وليست ناقصة أو غير ذات تمثيلية فحسب، بل هي أيضا معطيات زائفة"[26]. ويقول أيضا: "من الخطأ الاعتقاد أن الآلة الواصفة للغة العربية الحالية أو القديمة تحتاج ضرورة إلى مفاهيم القدماء وأصولهم، أو بعبارة إلى الفكر النحوي القديم، لقد بينا في عدة مناسبات أن هذا التصور خاطئ، وأن الآلة الواصفة الموجودة عند القدماء ليس لها أي امتياز في وصف العربية، بل هي غير لائقة في كثير من الأحوال"[27]

وبما أن ذلك كذلك –في نظره– فإنه "لاضرورة منهجية ولا منطقية تفرض الرجوع إلى فكر الماضي وتصنيفاته ومفاهيمه لمعالجة مادة معينة"[28].

وهكذا يتجسد موقف الفاسي الفهري من "التّراث النحوي العربي القديم –وهو تراثه– فموقفه منه عجيب غريب، فهو تجرّأ عليه جراءة لم يتجرأها أحد عليه من قبل، فهو لم يقف منه موقفا منصفا وقفه من قبله وبعده لسانيون غربيون معاصرون ولسانيون عرب درسوا في الغرب، فهو يرفض التّراث النحوي العربي لمجرد أنه قديم، ثم يستأنس به أحيانا ويتكئ عليه أخرى في التّحليل والمصطلح! ولا بد أن نشير هنا إلى أن هذا الموقف قد أوقعه في مشكلات كثيرة أقلّها التناقض والتخبط"[29]

4- ضعف الحجج والبراهين وغياب مبادئ النّقد: يقوم أصحاب النّقد غير المؤسس بتقديم حجج وبراهين هلامية، لا تستند إلى أية منهجية علمية، وتكون في الغالب إيديولوجية وسياسية، تقزّم أعمال البعض رغم جودتها، وتتعصب للآخر دون مبرّر، حُججهم عبارة عن رسائل تجريحية وليست نقودا علمية منهجية، ونلمس ذلك في رسالة وجّهها الفاسي الفهري إلى زميله حمزة بن قبلان المزيني، وهذا بعض ما جاء فيها:[30]

"لا أدري أيها الأخ العزيز كيف ما تزال صامدا أمام تراهات العرب، وخاصة التّراثانيون منهم...

ألم يضيع العرب كل شيء، أضاعوا أوطانهم وشعوبهم وشخصيتهم، وقيمهم، وصاروا مفترين متسلطين، لا يقدرون على شيء سوى اتهام الغرب، وادعاء السبق والركب فاتهم، وأصبحت صورتهم مشوهة، لا يفعلون شيئا لاستدراك أخطائهم، أو ايقاف منتوجهم البشع! فلا بد أن يثوروا فورا على أنفسهم، ويعوا ما أصابهم من الوهن والنقص، ويشرعوا في التعلم من المعلمين عند غيرهم اليوم، كما فعلوا بالأمس حين أرادوا النّهوض.

شومسكي نابغة ومعلمة يشهد له الجميع بذلك، من خصومه قبل أصدقائه، وهو يدافع عن العرب وقضاياهم بجرأة لا تتوفر للعرب، وقد منعه الإسرائيليون من دخول إسرائيل سنة 2008، وفتحوها أمامي ورفضت، وتكالب من أجل دخولها عرب آخرون، وطبلوا وفرحوا، ولا يجد العلماء العرب سبيلا إلى رد جميله سوى اتهامه بالسرقة العلمية...

لقد توفي مازن الوعر مع خرافاته وضعف أفكاره القومية المتسرعة غير الموفقة، وضعف سنده وكلامه.

وخرّب الحاج صالح أجيالا كاملة بأساطيره، ووقف حاجزا مانعا، يمنع جيوشا من الشباب الجزائري المتطلع إلى المعرفة وإلى الجديد بأساطيره حول شومسكي الذي قابله مرة واحدة وكذب عليه، وكذب على الخليل ابن أحمد رحمه الله!..."

إن هذا الكلام يجسد أسمى مظاهر النّقد غير المؤسس للمجز اللّغوي التّراثي، فهذا النص بما فيه ينضح كما قال الدكتور بشير إبرير الذي أحسن الرد على الفاسي الفهري[31]، كما أحسن الدكتور عبد الجبار توامي[32] دحض أغلب حجج الفهري في نقده للتراث اللّغوي العربي.

المطلب الثاني: أهمية النّقد اللّساني للتّراث اللّغوي العربي:

إن فهم الأسس الابستيمولوجية للدّراسات اللّغوية لدى علماء العربية، والوقوف عند أصولها وسماتها المنهجية، لا يتأتى إلا بعمل نقدي مؤسّس لكلّ ماتمّ إنجازه في التّراث، وتأتي أهمية نقد التّراث اللّغوي العربي في ما يلي:

- الكشف عن طبيعة الفكر اللّغوي العربي التّراثي بالموازات مع التّراثات اللّغوية للأمم الأخرى.
- تقييم الجهود اللّغوية العربية التّراثية من الناحية الابستيمولوجية وبيان قيمتها المعرفية.
- النفاذ إلى مكنون الأعمال اللّغوية التّراثية، ثم وصفها وتفسيرها بأساليب ومنهجيات عصرية.
- تحليل القضايا اللّغوية التّراثية في ضوء نظريات اللّسانيات الحديثة.
- الوقوف عند مناهج وآليات دراسة اللّغة عند القدماء، ورصد ايجابيات وفعالية هذه الآليات في دراسة اللّغة، وسلبياتها.

- الكشف عن توجهات اللّغويين العرب المعرفية في دراسة اللّغة وتصنيف منجزاتهم إلى اتجاهات.
- عقد مقارنات موضوعية بين دراسات القدماء وجديد النظريات اللّسانية، ورصد نقاط الائتلاف والاختلاف بينهما.
- الوقوف عند مواطن أصالة الجهود اللّغوية العربية، وتحديد مواطن تأثرها وتأثيرها في الدراسات الغربية القديمة والحديثة.

المبحث الثالث: قضايا النّقد اللّساني العربي للتّراث اللّغوي:

انعقدت صلة النّقد اللّساني العربي بالمنجز اللّغوي العربي أول مرة بعد عودة رواد البعثات العلمية من أوروبا؛ فبعد "أن عاد لغويو العربيّة من رحلاتهم العلميّة منبهرين بثقافة أساتذتهم الأوروبيين، وعلى قدر الإنبهار بالفكر اللّغوي الغربي يأتي التّقليل من الفكر اللّغوي العربي، الذي سيقود حتما ولأول مرة في تاريخ علم العربيّة إلى انقسام الباحثين في هذه اللّغة إلى تراثيين وحداثيين، وكلا الفريقين لا يشاطر الآخر تصوّره الخاص لدراسة اللّغة العربيّة، وكلاهما يرمي فكر الآخر بمتخيّر من النّعوت التّنقيصيّة"[33]، ومن هنا برزت جدلية العلاقة بين اللّسانيات والتّراث اللّغوي العربي، وعرف الدرس اللّساني العربي –على إثر ذلك– صراع بين أنصار التّراث والحداثة، ولإحتواء الأزمة ظهرت مشاريع لسانية تحاول التوفيق بين الطرفين من خلال قراءة التّراث اللّغوي العربي بمنظور لساني حديث لجني الثّمار من العلمين، ومع ذلك إلاّ أنّ هذه المشاريع لم تسلم من الجدل حول ماهيتها وكيفياتها.

المطلب الأول: قضية العلاقة بين التّراث اللّغوي العربي واللّسانيات:

عرفت المكتبة اللّسانية العربية منذ سبعينيات القرن الماضي ظهور جملة من الكتابات اللّسانية العربية التي أظهر فيها اللّسانيون العرب اهتماما متباينا بالقضايا اللّغوية، وكان اللّسانيون العرب في خضم دراساتهم يتعرضون من حين إلى حين للتراث اللّغوي، فيتناولونه على أنه علم مماثل للسانيات الحديثة تارة، وعلى أنه نقيض للسانيات تارة أخرى، وعلم متكامل ومتفاعل مع اللّسانيات في كتابات أخرى، ومن هنا تطرح إشكالية علاقة اللّسانيات بالتّراث اللّغوي العربي عموما والنحو العربي خصوصا في الكتابات اللّسانية النّقدية العربية.

يحدّد مصطفى غلفان في مقاله "جدلية العلم وتاريخه: اللّسانيات والتّراث اللّغوي العربي نموذجا" مواقف اللّغويين العرب بشأن التّراث اللّغوي العربي ومكانته في تاريخ اللّسانيات وقيمة تصوراته مقارنة بالنّظريات اللّسانية الحديثة إلى ثلاثة مواقف هي[34]:

أ/ الإشادة بالتصورات الواردة في التّراث اللّغوي العربي القديم نحوا ولغة ومعجما، ويعتقد أصحاب هذا الموقف أن لا فرق بين النحو واللّسانيات سوى أن الأول قديم، والثانية جديدة، أما المحتوى فهو نفسه في الحالتين.

ب/ نقد النحو العربي وأسسه من قياس وعامل وتقدير وعلة وغيرها من المفاهيم المتداولة في المنظومة النحوية العربية القديمة من خلال مبادئ اللّسانيات التي يعتبرون التّراث اللّغوي العربي في ضوئها غير صالح تاريخيا لمعالجة قضايا العربية باعتباره أصبح متجاوزا.

ج/ التوفيق بين تصورات الفكر اللّغوي العربي القديم واللّسانيات في إطار ما يسمى بالقراءة أو إعادة قراءة التّراث في ضوء النظريات اللّسانية الحديثة.

وبتبنّي اللّسانيين العرب لتلك المواقف طفى على سطح الساحة اللّسانية العربية إشكالية الأصالة والمعاصرة، أو التّراث والحداثة، وتطرح هذه الإشكالية في الكتابة النّقدية العربية بنوع من الانفعال والحماس، فينتهي الأمر غالبا بخلق صراع حاد بين الطرفين، مما يؤدي إلى توزع اللّسانيين العرب إلى:

1- **اتجاه تراثي:** يمثّله محموعة من اللّغويين المتقوقعين على أنفسهم في التّراث، والذين يدعون إلى التّمسك بما جاء به أئمة النّحو العربي من جهود يرون فيها الكمال والقداسة، أمّا اللّسانيات في نظرهم فهي علم هامشي لا حاجة لهم بها، ويرون فيها خطرا إذ ما طبقت مبادؤها على اللّغة العربيّة، ويرجع هذا إلى تقصير رواد البعثات العلمية في تقديم اللّسانيات في صورة لا تلغي النحو العربي؛ فالرواد "لم يحسنوا زرع النباتات اللّسانيّة في العالم العربي لأنّهم حملوا اللّسانيات ولم يحملوا طريقة زرعها في العالم العربي بالحوار المبني على فهم التّراث اللّغوي العربي أولا، ثمّ فهم المعطيات اللّسانيّة، من هنا حملت الطّروحات اللّسانيّة الأولى في العالم العربي إتهامات للّغة العربيّة في نحوها وصرفها ومعجمها"[35]. وهذه النقود جعلت التّراثيين يقفون موقفا يرون فيه اللّسانيات نقيضا للنحو العربي فلا يمكن أن تضاهيه.

2- **اتجاه حداثي:** يرى أصحابه أن كل نموذج لغوي جميل يقتصر على ما ينتجه الغربيون فقط، وهذا يدفعهم إلى التّبني المطلق للأفكار والآراء الوافدة من الغرب، وأثناء ذلك يوجّهون سهام نقدهم إلى التّراث اللّغوي فيستهجنونه ويقلّلون من قيمته، ولا يكتفون بذلك فحسب بل نجدهم "يدعون إلى ضرورة القطع مع الماضي، إذ لا مبرر منطقي للعودة إليه -كما جاء على ألسنة الرواد- وعندئذ يستقيم مبرر التّلمذة على الغرب في اللّسانيات، ويتيسر في نظرهم إطلاق نهضة حقيقية في مجال اللّسانيات العربيّة الحديثة بغية تطوير البحث في اللّغة العربيّة ولهجاتها المختلفة"[36].

3- **اتجاه توفيقي:** وهو اتجاه يتأرجح بين الاتجاه الأول والثاني، وهو يسعى إلى تحقيق نوع من الوصل بين التّراثيين والحداثيين من خلال قراءة التّراث اللّغوي العربي وفق المناهج الغربية الحديثة، وبالتالي تفادي القطيعة مع الموروث اللّغوي العربي أو التّقوقع فيه، مما يفتح المجال لجني الثّمار من كليهما، فيُحافَظُ على الموروث من جهة ويُستفاد من جديد الحاضر من جهة أخرى.

إن حضور الجدل بين التّراث اللّغوي العربي واللّسانيات لدى النّاقد اللّساني العربي ينم على خلق البعض لصراع معرفي وهمي بين العلمين؛ وهذا لأن تعامل اللّسانيين مع العلمين غير سليم في كثير من الأحيان؛ فوعيهم بالقضايا الابستيمولوجية للتراث واللّسانيات كان محدودا، وفهمهم لطبيعة العلاقة بينهما –بطرحهما كعلمين متناقضين ينكر أحدهما الآخر أو متوافقين بحيث يصبح النحو العربي هو اللّسانيات– كان مغلوطا، وهكذا "تحول موضوع العلاقة بينهما إلى مجال فضفاض يعج بتأويلات واستنتاجات لا يدعمها لا تاريخ المعرفة ولا ابستيمولوجيا العلوم، وأصبح مدار أحكام تطلق من دون رقيب نظري ولا حسيب منهجي، من ذلك القول بأن اللّسانيات التي جاء بها المحدثون في أوروبا وأميركا إن هي إلا بضاعتنا ردت إلينا في أثواب أعجمية"[37] .

إن علاقة اللّسانيات بالتّراث اللّغوي العربي هي علاقة تكاملية–تفاعلية ف"كلا العلمين القديم والوافد في هذه الشّركة مفيد ومستفيد؛ إذ يكيّف كلالهما أخاه ويرفده، وينتفع به ألوانا من الانتفاع المتجدّد إلى غير نهاية"[38]، وهذه المفاعلة الايجابية للعلمين تتأتّى بالرؤية النّقدية السليمة والموضوعية التي تستند إلى أسس وضوابط منهجية محكمة اتجاه التّراث اللّغوي العربي واللّسانيات، كما تتأتى بتأسيس فكر تاريخي ابستيمولوجي –كما يقترح مصطفى غلفان– توكّل له مهمة رفع اللّبس والتّوتّر بين اللّسانيات والتّراث وهذا من خلال[39]:

أولا: تحليل نقدي تاريخي لأسس الفكر اللّغوي القديم والحديث يضبط الشّروط المعرفيّة للمعالجات اللّغوية، ويحدد ماهية اللّسانيات، وكيفيات تمثّلها، وعلاقتها بالثقافة وبالعلوم الأخرى...

ثانيا: صياغة تصوّر ابستيمولوجي دقيق يتضمن قضايا تخصّ مفهوم العلم ومقوماته وصلة العلم بتاريخه استنادا إلى مفهوم التّطور العلمي.

المطلب الثاني: قضية قراءة التّراث اللّغوي أو إعادة قراءته:

تعدّ لسانيات التّراث الاتّجاه المهيمن في الكتابة اللّسانيّة العربيّة الحديثة، وذلك لاستشعار العرب لضرورة تسليط الضّوء على التّراث اللّغوي العربي لما له من قيمة معرفيّة في الدّراسات اللّغويّة واللّسانيّة، وتقوم كتابات اللّسانيين المنتمين إلى هذا الاتجاه على مبدأ إعادة قراءة التّراث اللّغوي العربي في ضوء المنجز اللّساني الحديث، لما يحتويه هذا التّراث من كنوز لغوية قيّمة، ومحاولة إسقاط الأفكار العلمية لهذا

التّراث على السياق اللّساني الحداثي، والنّظر إليه بعيون حداثية، "فمنذ أن تسربت اللّسانيات إلى الثقافة العربية الحديثة نشأ عندنا تقليد معرفي يربط اللّسانيات بالتّراث اللّغوي العربي نحوا وبلاغة وتفسيرا وأصول فقه وغيرها بشتى الطّرائق في إطار ما بات يعرف بإعادة قراءة التّراث، وهدفها البحث عن الامدادات التّاريخية بين التّصورات التّراثية واللّسانيات في سياق صلات التّماثل والاختلاف بينهما. وتمّ عقد هذه الصّلات في أفق مساءلة الأصول التّاريخية للّسانيات"[40].

ونظرا لتهافت اللّسانيين العرب على هذا النّوع من الدّراسات، أثيرت في الكتابة اللّسانية النّقدية أسئلة كثيرة حول طبيعة هذه القراءات، ومنهجياتها، وأنواعها وكذا أهمّيتها، وبذلك تحوّلت قراءة التّراث اللّغوي العربي أو إعادة قراءته إلى قضية جوهرية في الكتابة اللّسانية النّقدية العربية.

ويقسّم الدّكتور مصطفى غلفان قراءات التّراث حسب الموضوع، المنهج، والغاية كالتّالي:[41]

أولا: من حيث الموضوع: تُقسّم إلى:

1- قراءة النّموذج الواحد: وهي تلك الكتابات التي يدور موضوعها حول شخصية لغوية عربية قديمة تركت أفكارا وآراء لغوية جليلة، وتكرّس هذه الدّراسات لمعرفة طريقة تفكير هذه الشّخصية وتصورها وكيفية تناولها لقضايا اللّغة العربيّة

2- القراءة القطاعية: وهي القراءة التي تتمحور حول قطاع معين من التّراث اللّغوي العربي، كالقطاع النحوي أو البلاغي أو الصّرفي... باعتبار أن هذه القطاعات تشكل في حد ذاتها نظريات محدّدة المعالم، تقوم على مبادئ منهجية خاصة بها

3- القراءة الشّمولية: وهي القراءة التي تتمحور حول التّراث في كلّيته وشموليته باعتباره تصورات ومصطلحات وطرائق تحليل عامة في دراسة اللّغة العربيّة، وتستهدف البحث في النّظرية اللّغوية عند العرب من حيث هي تنظير للظّاهرة اللّسانية عموما

ثانيا: من حيث المنهج: تقوم قراءة التّراث أو إعادة قراءته على إجراء مقارنة بين الفكر اللّغوي العربي القديم وبين النّظريات اللّسانية الحديثة، سواء صُرح بهذه المقارنة أم لم يُصرّح

ثالثا: من حيث الغاية: تُقسّم إلى:

1- قراءة ممجّدة: وهي الكتابة التي يكون هدفها التّنويه بالتّراث اللّغوي، فيحيط لسانيو هذا النّوع التّراث بكل أشكال الإعجاب والتّقدير والعظمة، واضعين إياه (التّراث) في درجة علمية أعلى من النّظريات اللّسانية الحديثة

2- قراءة إصلاحية: هدفها تخليص النّحو العربي من الشوائب والمعوّقات والنّقائص التي اعترته

3- قراءة تفاعلية: وتروم إلى إعطاء النّظرية اللّسانية العربيّة القديمة مكانتها اللائقة بها في إطار مراحل الفكر اللّغوي العربي من خلال خلق تفاعل بينها وبين النّظريات اللّسانية الحديثة

ورغم القيمة المعرفية للدّراسات التي تبنّت هذا المنهج، إلا أن الدكتور مصطفى غلفان يرى أن هذا النّوع من الدّراسات "لم يخلص إلى نتائج ذات مردودية بالنسبة للدرس اللّغوي العربي –قديمه وحديثه – فلأن رؤيتهم ظلّت مجرد تعبير عن تأويلات وأحاسيس تقوم على نخوة تاريخية تتغنّى بمنجزات الماضي أكثر مما هي تحليلات معرفية دقيقة ترصد ما يمكن أن يستخلص معرفيا من عصارة العلاقة بين التّراث واللّسانيات"[42]، ويسجل غلفان مجموعة من المآخذ على مشاريع إعادة قراءة التّراث، أبرزها:

أ- **جدلية العلاقة بين اللّسانيات والتّراث اللّغوي العربي،** وهذا يرجع –حسب غلفان- إلى" غياب منظور ابستيمولوجي تاريخي يضبط بدقة نوعية العلاقة بين التّراث واللّسانيات بصفتها علاقة جدلية بين العلم (اللّسانيات) وتاريخه (التّراث اللّغوي العربي وغير العربي). فالممارسة العلمية سيرورة تاريخية لا تتوقف على مر الأزمان والحقب ولا تعرف الاستقرار على حال واحدة، وهو ما تتجاهله الدراسات العربية القائلة بالتماثل التصوري والمنهجي بين التّراث اللّغوي العربي واللّسانيات"[43].

ب- **اللامنهجية في التوفيق بين التّراث العربي واللّسانيات،** لأن أغلب الكتابات تتهافت على إسقاط كل نتائج الدرس اللّساني الحديث على التّراث، ويمثل هذا الاسقاط "إسقاطا ساذجا لتصورات لغوية حديثة على تصورات قديمة يلغي المسافات النظرية والمنهجية القائمة بين الفكرين اللّغويين القديم والحديث من دون أدنى مراعاة لشروط تقدم المعرفة العلمية"[44]

ج- **غياب منظور ابستيمولوجي للقراءة،** ذلك "أن المنهجية المعروفة بالقراءة أو إعادة القراءة، لا تجيب بالتّحديد عن جملة من الأسئلة منها: ماذا نقرأ؟ وكيف نقرأ؟ في ضوء ماذا نقرأ؟ إنها أسئلة تجعل الكتابة اللّسانية القرائية لا تستند إلى أساس نظري أو منهجي محدّد لعدم استناد القراءة نفسها إلى وضع إبستيمولوجي محدّد في غياب منهجية واضحة المعالم"[45]

د-**الانحراف عن الموضوع الأساسي أثناء القراءات:** ذلك أنّ الكتابات القرائية "لا تتناول اللّغة العربية باعتبارها بنية مكوّنة من مستويات مختلفة. إنّ غاية الكتابة اللّسانية القرائية هي التّوفيق بين التّصورات اللّغوية القديمة و مضامين الدّرس اللّساني الحديث .إنّها تتعالى عن موضوعها الأصلي لينصب اهتمامها حول التّراث اللّغوي، فهي لا تصف و لا تفسر الظواهر اللّغوية العربية. إن قراءة الفكر اللّغوي العربي القديم أو إعادة قراءته في ضوء اللّسانيات يوحي بأن موضوع اللّسانيات الأساس هو تأويل التّراث و ليس دراسة اللّغة في حد ذاتها و لذاتها"[46].

إنّ ما سجلّه مصطفى غلفان من مآخذ عن الكتابات القرائية صائب تماما، خاصة إذا ارتبطت القراءة باسقاطات عشوائية لا منهجية لمبادئ الدّرس اللّساني الحديث على المنجز اللّغوي التّراثي، وقد نبّه الدكتور الحاج صالح على ضرورة تفادي ذلك[47]، إلاّ أنّ هذه المآخذ لا تصدق على كل أنواع القراءات المسلّطة على التّراث؛ ذلك أنّ بعض الكتابات اللّسانية العربية الحديثة مارست قراءات ناجحة وواعية للتراث اللّغوي العربي؛ فلم يدرس التّراث فيها من أجل مقارنته باللّسانيات أو إسقاط مبادئها عليه، وإنما درس لأنّ فيه ما يستحق أن يكون نظرية لغوية عربية تُدرس اللّغة العربية في ضوئها، وتمثّل النّظرية الخليلية الحديثة إحدى تلك الدّراسات التي استطاع فيها صاحبها الدكتور عبد الرحمان الحاج صالح تجاوز سلبيات قراءة التّراث السّابقة، –بل كان سبّاقا في الدّعوة إلى تفاديها– بفضل نقده المؤسّس للتّراث اللّغوي العربي المبني على الوعي بالابستيمولوجيا، والوعي بالتّراث واللّسانيات على حد سواء.

الخاتمة:

سعت هذه الورقة –بالعرض والتّحليل– إلى الوقوف على بعض الجوانب المعرفية التي يثيرها النّقد اللّساني العربي الحديث في تعامله مع المنجز اللّغوي التّراثي العربي، وقد أظهرت الدراسة مدى حضور التّراث اللّغوي العربي في الكتابة النّقدية العربية لما يحمله من وزن معرفي، ولما يثيره من قضايا، وبعد عرضنا لماهية النّقد اللّساني العربي وصوره وأهميته تبين أن النّقد اللّساني العربي للتراث لا يستقيم إلا بحضور مقومات معينة، كما أفضت الدراسة أيضا إلى تسجيل النتائج التالية:

– وجود صنفين من النّقد اللّساني العربي للتراث اللّغوي العربي: نقد مؤسس يُبنى على مبادئ منهجية معلومة تكون أحكامه موضوعية، وقد تجلت مظاهره في تعامل الدكتور عبد الرحمان الحاج صالح مع التّراث اللّغوي، ونقد مؤسس يبنى على الآراء الشخصية تكون أحكامه غير سليمة وقد تجلت أغلب مظاهره في كتابات عبد القادر الفاسي الفهري.

– رغم ما قيل ويقال عن التّراث اللّغوي العربي في النّقد اللّساني العربي الحديث، إلا أنه يبقى عمودا ثابتا من أعمدة الدرس اللّساني الحديث، لا يمكن إنكاره، ولا يمكن طمسه مادام أنه ملازم للنّاقد العربي.

– تشكّل علاقة النّقد اللّساني العربي الحديثه بتراثه علاقة ملتبسة لما يصاحب هذا النّقد من أحكام اتجاه هذا التّراث؛ فبعضها يحتفي به ويمجده، والآخر يقدحه ويذمه، والتّراث اللّغوي لم يحظ بالعناية اللازمة ولا بالدراسة الموضوعية عند النوعين.

– لقد فسح النّقد غير الموضوعي للتراث المجال أمام اللّسانيين إلى الانقسام إلى تراثيين وحداثيين مما خلق قضايا جدلية في تعامل النّقد اللّساني العربي الحديث مع المنجز اللّغوي العربي.

الهوامش:

[1] خالد الأنشاصي، اللّسانيات والشعر، حوار مع الدكتور مازن الوعر، مجلة اللّسانيات، مجلد 12، عدد2، 2007 ص115.

[2] بوبكر زكموط، الجهود اللّسانية الحديثة في تأسيس لسانيات عربية، أطروحة دكتوراه، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، 2020-2021، ص101

[3] مبروك بركات، النّقد اللّساني العربي دراسة تقويمية للبحوث النحوية النّقدية الحديثة، أطروحة دكتوراه، إشراف عبد المجيد عيساني، كلية الآداب واللّغات، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، 2016-2017، ص29

[4] مازن الوعر، صلة التّراث اللّغوي العربي باللّسانيات، مجلة التّراث العربي، عدد48، 1992، ص88

[5] حافظ إسماعيلي علوي، أمحمد الملاخ، قضايا ابستيمولوجية في اللّسانيات، ط1، منشورات الاختلاف/الدار العربيّة للعلوم ناشرون، بيروت /الجزائر، 2009، ص194

[6] عبد الرّحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللّسانيات العربيّة، ج1، موفم للنشر، الجزائر، 2012، ص227-228

[7] عبد الرحمن الحاج صالح، النظرية الخليلية الحديثة –مفاهيمها الأساسية- كراسات المركز، سلسلة يصدرها مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللّغة العربية، الجزائر، عدد4، 2007،ص10-11.

[8] عبد الرّحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللّسانيات العربيّة، ج1، موفم للنشر، الجزائر، 2012، ، ص227

[9] عبد الرحمن الحاج صالح، النظرية الخليلية الحديثة –مفاهيمها الأساسية- كراسات المركز، سلسلة يصدرها مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللّغة العربية، الجزائر، عدد4، 2007، ص10.

[10] المرجع نفسه، ص7.

[11] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، توهمات النحاة العرب بعد عصر الخليل وسيبويه، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، مج12، عدد1، 2016.

[12] عبد الرحمن الحاج صالح، النظرية الخليلية الحديثة –مفاهيمها الأساسية- كراسات المركز، سلسلة يصدرها مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللّغة العربية، الجزائر، عدد4، 2007،ص26

[13] المرجع نفسه، ص44-45

[14] المرجع نفسه، ص46

[15] ينظر: المرجع نفسه، ص47

[16] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، تأثير النظريات العلمية اللّغوية المتبادل بين الشرق والغرب: ايجابياته وسلبياته، مجلة مجمع اللّغة العربية بالقاهرة، ع96، ص127

[17] ينظر: مبروك بركات، النّقد اللّساني العربي دراسة تقويمية للبحوث النحوية النّقدية الحديثة، أطروحة دكتوراه ، إشراف عبد المجيد عيساني، كلية الآداب واللّغات، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، 2016-2017، ص42-44

[18] محمد الأوراغي، نظرية اللّسانيات النسبية دواعي النشأة، ط1، دارالأمان/ منشورات الاختلاف/ الدار العربية للعلوم ناشرون، الرباط/الجزائر/لبنان، 2010، ص77

[19] عبد الجبار توامي، اللّسانيات المغربية المعاصرة بين التّراث والدرس الحديث (قراءة نقدية)، مجلة الدراسات اللّغوية، مجلد7، عدد4، نوفمبر-ديسمبر 2005، ص250

[20] عبد القادر الفاسي الفهري، اللّسانيات واللّغة العربية نماذج تركيبية ودلالية، ط1،دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 1985، ص57.

[21] عبد القادر الفاسي الفهري، المعجم العربي، نماذج تحليلية جديدة، ط2،دار توبقال للنشر، المغرب، 1999، ص6

[22] محمد الأوراغي، نظرية اللّسانيات النسبية دواعي النشأة، ط1، دارالأمان/ منشورات الاختلاف/ الدار العربية للعلوم ناشرون، الرباط/الجزائر/لبنان، 2010، ص55

[23] – حسام الخطيب، كلمة ألقاها أمام المؤتمر الثّالث عشر للإتحاد العام للأدباء والكتاب العرب، نقلا عن: مازن الوعر، أزمة اللّسانيات واللّسانيين في الوطن العربي، مجلّة المعرفة، السنة21، العدد 251، 1983، ص81.

[24] عبد القادر الفاسي الفهري، البناء الموازي نظرية في بناء الكلمة وبناء الجملة، ط1، دار توبقال للنشر، المغرب، 1990، ص7

[25] عبد القادر الفاسي الفهري وآخرون، المنهجية في العلوم والأدب الإنسانية، ط3، دار توبقال للنشر، المغرب، 2001، ص94

[26] عبد القادر الفاسي الفهري، اللّسانيات واللّغة العربية نماذج تركيبية ودلالية، ط1، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 1985، ص54.

[27] المرجع نفسه، ص60–61

[28] المرجع نفسه، ص52

[29] عبد الجبار توامي، اللّسانيات المغربية المعاصرة بين التّراث والدرس الحديث (قراءة نقدية)، مجلة الدراسات اللّغوية، مجلد7، عدد4، نوفمبر–ديسمبر 2005، ص256

[30] للإطلاع على الرسالة كاملة، ينظر: بشير إبرير، اللّسانيات العربية وأبعادها المعرفية في كتابات عبد الرحمن الحاج صالح اللّسانية، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، الجزائر، 2021، ص36–38

[31] ينظر: المرجع نفسه، ص 39–42

[32] ينظر: عبد الجبار توامي، اللّسانيات المغربية المعاصرة بين التّراث والدرس الحديث (قراءة نقدية)، مجلة الدراسات اللّغوية، مجلد7، عدد4، نوفمبر–ديسمبر 2005

[33] محمّد الأوراغي، نظريّة اللّسانيات النسبيّة دواعي النّشأة، ط1، الدار العربيّة للعلوم ناشرون، دار الأمان، منشورات الاختلاف، بيروت، الرباط، الجزائر، 2010، ص64–65.

[34] ينظر: مصطفى غلفان، جدلية العلم وتاريخه: اللّسانيات والتّراث اللّغوي العربي نموذجا، مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية، مجلد 28، عدد8، 2020، ص248–249.

[35] – حسن خميس الملخ، حاوره: حافظ إسماعيلي علوي ووليد أحمد العناتي، أسئلة اللّغة أسئلة اللّسانيات حصيلة نصف قرن من اللّسانيات في الثّقافة العربيّة، الدار العربيّة للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، دار الأمان، لبنان/ الجزائر/ الرباط، ط1، 2009، ص 312 .

[36] محمد الأوراغي، حاوره حافظ إسماعيلي علوي ووليد أحمد العناتي، أسئلة اللّغة أسئلة اللّسانيات حصيلة نصف قرن من اللّسانيات في الثّقافة العربيّة، الدار العربيّة للعلوم ناشرون/ منشورات الاختلاف/ دار الأمان، لبنان / الجزائر / الرباط، ط1، 2009، ص173.

[37] مصطفى غلفان، جدلية العلم وتاريخه: اللّسانيات والتّراث اللّغوي العربي نموذجا، مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية، مجلد 28، عدد8، 2020، ص252

[38] سعد عبد العزيز مصلوح، في اللّسانيات العربيّة المعاصرة دراسات ومثاقفات، عالم الكتب، القاهرة، ط1،2004 ص31.

[39] ينظر: مصطفى غلفان، المرجعالسابق، ص252

[40] مصطفى غلفان، المرجع نفسه، ص250

[41] ينظر: مصطفى غلفان، اللّسانيات العربيّة الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النّظرية والمنهجية ،منشورات كلية الآداب عين الشق، الدار البيضاء، المغرب، دط، 1998، ص 136 إلى 139.

[42] مصطفى غلفان، جدلية العلم وتاريخه: اللّسانيات والتّراث اللّغوي العربي نموذجا، مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية، مجلد 28، عدد8، 2020ص242

[43]المرجع نفسه، ص252

[44] المرجع نفسه، ص250

[45] مصطفى غلفان، اللّسانيات العربيّة الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النّظرية والمنهجية، ص146

[46] المرجع نفسه ص155-156

[47] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، النظرية الخليلية الحديثة –مفاهيمها الأساسية- كراسات المركز، سلسلة يصدرها مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللّغة العربية، الجزائر، عدد4، 2007، ص11

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: الكتب

1 بشير إبرير، اللّسانيات العربية وأبعادها المعرفية في كتابات عبد الرحمن الحاج صالح اللّسانية، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، الجزائر، 2021

2 حافظ إسماعيلي علوي ووليد أحمد العناتي، أسئلة اللّغة أسئلة اللّسانيات حصيلة نصف قرن من اللّسانيات في الثقافة العربيّة، ط1،الدار العربيّة للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، دار الأمان، لبنان/ الجزائر/ الرباط، 2009

3 حافظ إسماعيلي علوي، أمحمد الملاخ، قضايا ابستيمولوجية في اللّسانيات، ط1، منشورات الاختلاف/الدار العربيّة للعلوم ناشرون، بيروت /الجزائر، 2009

4 سعد عبد العزيز مصلوح، في اللّسانيات العربيّة المعاصرة دراسات ومثاقفات، عالم الكتب، القاهرة، ط1،2004

5 عبد الرّحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللّسانيات العربيّة، ج1، موفم للنشر، الجزائر، 2012

6 عبد القادر الفاسي الفهري وآخرون، المنهجية في العلوم والأدب الإنسانية، ط3، دار توبقال للنشر، المغرب، 2001

7 عبد القادر الفاسي الفهري، البناء الموازي نظرية في بناء الكلمة وبناء الجملة، ط1، دار توبقال للنشر، المغرب، 1990

8 عبد القادر الفاسي الفهري، اللّسانيات واللّغة العربية نماذج تركيبية ودلالية، ط1،دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 1985

9 عبد القادر الفاسي الفهري، المعجم العربي، نماذج تحليلية جديدة، ط2،دار توبقال للنشر، المغرب، 1999

10 محمد الأوراغي، نظرية اللّسانيات النسبية دواعي النشأة، ط1،دارالأمان/ منشورات الاختلاف/ الدار العربية للعلوم ناشرون، الرباط/الجزائر/لبنان، 2010

11 مصطفى غلفان، اللّسانيات العربيّة الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النّظرية والمنهجية ،منشورات كلية الآداب عين الشق، الدار البيضاء، المغرب، دط، 1998،

ثانيا: الرسائل والمذكرات

1 بوبكر زكموط، الجهود اللّسانية الحديثة في تأسيس لسانيات عربية، أطروحة دكتوراه، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، 2020-2021.

2 مبروك بركات، النّقد اللّساني العربي دراسة تقويمية للبحوث النحوية النّقدية الحديثة، أطروحة دكتوراه، إشراف عبد المجيد عيساني، كلية الآداب واللّغات، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، 2016-2017

ثالثا: المقالات

1 خالد الأنشاصي، اللّسانيات والشعر، حوار مع الدكتور مازن الوعر، مجلة اللّسانيات، مجلد 12، عدد2، 2007

2 عبد الجبار توامي، اللّسانيات المغربية المعاصرة بين التّراث والدرس الحديث (قراءة نقدية)، مجلة الدراسات اللّغوية، مجلد7، عدد4، نوفمبر-ديسمبر 2005

3 عبد الرحمن الحاج صالح، النظرية الخليلية الحديثة -مفاهيمها الأساسية- كراسات المركز، سلسلة يصدرها مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللّغة العربية، الجزائر، عدد4، 2007

4 عبد الرحمن الحاج صالح، تأثير النظريات العلمية اللّغوية المتبادل بين الشرق والغرب: ايجابياته وسلبياته، مجلة مجمع اللّغة العربية بالقاهرة، ع96

5 عبد الرحمن الحاج صالح، توهمات النحاة العرب بعد عصر الخليل وسيبويه، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، مج12، عدد1، 2016.

6 مازن الوعر، صلة التّراث اللّغوي العربي باللّسانيات، مجلة التّراث العربي، عدد48، 1992

7 مصطفى غلفان، جدلية العلم وتاريخه: اللّسانيات والتّراث اللّغوي العربي نموذجا، مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية، مجلد 28، عدد8، 2020